من
التراث الكنسي

مُرتبطين معًا

الأب أنتوني م. كونيارس[١]

(٩)

عندما نصعد إلى أعلى جبل، نجد أنَّه مِن الصُّعوبة بمكان أنْ يصل واحد بمفرده إلى القمَّة، ولكن يُمكننا أنْ نصعد معًا بأنْ نربط بعضنا ببعض بحبل، والمتقدِّم يصعد أوَّلًا والآخرون يصعدون خلفه، مربوطين به.

وكما لا يُمكنك أنْ تصعد الجبل بدلًا منِّي، ولا يمكنني أنْ أصعده بدلًا منك، لكن علينا نحن الاثنين أنْ نصعد كلٌّ واحد بمفرده، ولكن على أنْ نكون مرتبطين ببعض بقائدنا الرَّب يسوع لنكمل الوصول. الحبال التي تُمكِّننا مِن أنْ نربط أنفسنا بالقائد الرَّب يسوع هي الإيمان، والصَّلاة، والتَّناول.

نحن مُرتبطون ببعض بطرق مختلفة أكثر ممَّا نتوقَّع، فمثلًا لا يكفي أنْ تصلِّي قائلًا: "يا سيِّد، حصِّني أنا واحمني، أنا وكلُّ ما لي"، لأنَّه يجب على القائد أنْ يحصِّن الآخَرين السَّائرين في الطَّريق أيضًا. فإذا حصلت حادثة ما، بسبب أنَّه قد يسير شخص مُهْمِل في طريق سائق آخَر، فهذا سيشملني أنا وكل ما لي في حادثة خطيرة؛ فنحن كأعضاء في نفس الجسد، يجب علينا أنْ نصلِّي بعضنا لبعض لأنَّنا متداخلون مع بعض.

أساس عبارة "بعْضُكُم بعْضًا أللیلون ALLELON"

في العهْد الجديد

واحدة مِن الطُّرُق الحيويَّة التي كشف فيها الرَّب يسوع عن قصده من الكنيسة كجسد، كان عن طريق مجموعة مِن الأقوال أعطاها بخصوص مسؤوليَّة الواحد تجاه الآخَر. الجملة: "بعضكم بعض one another" كما تُرْجمت مِن الكلمة اليونانيَّة أللیلون allelon

---

(١) عن كتابه بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *The Eye Cannot Say to the Hand "I Have No Need of You"* Light and Life, 2005.

تُزوِّدنا بما يسمِّيه أحدهم: "مبدأ وجود عبارة أللليلون allelon بعضكم بعضًا" في العهد الجديد. هذا المبدأ يزوِّدنا بصورة هائلة بما تعمله الكلمة كونونيا koinonia في العمل في الجسد. إليكَ قائمة من الأقوال: بعضكم بعض أللليلون في العهد الجديد:

«يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ» (يو ١٣: ١٤).

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يو ١٣: ٣٤).

«وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ» (رو ١٢: ١٠).

«مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رو ١٢: ١٠).

«فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا» (رو ١٤: ١٣).

«مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا» (رو ١٢: ١٦).

«وَلْيُعْطِكُمْ ... اهْتِمَامًا وَاحِدًا بعضكم ببعض» (رو ١٥: ٥ حسب الأصل اليوناني).

«فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ» (رو ١٤: ١٩).

«اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رو ١٥: ٧).

«قَادِرُونَ أَنْ يُنْذِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رو ١٥: ١٤).

«سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ» (رو ١٦: ١٦).

«انْتَظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١كو ١١: ٣٣).

«بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ» (١كو ١٢: ٢٥).

«بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (غل ٥: ١٣).

«اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ» (غل ٦: ٢).

«مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ» (أف ٤: ٢).

«كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ» (أف ٤: ٣٢).

«مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ» (أف ٥: ١٩).

«خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (أف ٥: ٢١).

«حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (في ٢: ٣).

«لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» (كو ٣: ٩).

«مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (كو ٣: ١٦).

«عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس ٤: ١٨).

«عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ» (١تس ٥: ١١).
«سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس ٥: ١٣).
«اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» (١تس ٥: ١٥).
«وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا» (عب ١٠: ٢٥).
«لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يع ٤: ١١).
«لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» (يع ٥: ٩).
«اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ» (يع ٥: ١٦).
«صَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ» (يع ٥: ١٦).
«كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١بط ٤: ٩).
«كُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ» (١بط ٥: ٥).

هذه هي الطَّريقة التي بها أعضاء الجسد تحبُّ وتدعَم وتهتم بعضها ببعض. الكلمة أللليلون في كلِّ واحدة مِن الآيات السَّابقة تُعبِّر عن حقيقة أنَّنا كأعضاء في جسد المسيح الواحد، ننتمي إليه كما أنَّ الواحد منَّا ينتمي إلى الآخَر أيضًا. وبما أنَّنا نحن جميعًا نكوِّن جسدًا واحدًا، فعلينا أنْ نحبَّ وأنْ نحترم وأنْ نعتني الواحد بالآخَر، لأنَّنا أعضاء في جسدنا الواحد: «لَا تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!» (١كو ١٢: ٢١).

وعلينا أنْ نُدعِّم كلُّ واحد إيمان الآخَر: «فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ، فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ. لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ» (رو ١٤: ١٥).

عبَّر القدِّيس كليمندس الرُّوماني St. Clement of Rome في القرن الأوَّل (٩٦م) عن هذا فقال:

[لماذا النِّزاع، والغضب، والانقسام، والاختلاف، والحروب بينكم؟ أليس إلهنا الذي نعبده إلهًا واحدًا، وأليس مسيحنا مسيحًا واحدًا، وأليس روح النِّعَم والهبات والعطايا الذي فينا واحدًا؟ وأليست دعوتنا في المسيح واحدة؟ فلماذا إذن نُمزِّق ونشق أعضاء المسيح، ونثور ضدَّ جسدنا الواحد، ونندفع نحو مِثل هذا الجنون حتَّى ننسى أنَّنا أعضاء بعضنا لبعض؟][٢]

(٢) رسالة كليمندس الروماني الأولى ٤٦: ٥ – ٧.

عائلتنا الأُخرى

حقيقة أنَّنا أعضاء لجسد المسيح الواحد ستجعلنا نتصرَّف بممتلكاتنا أيضًا بطريقة مختلفة تمامًا، وسوف يظهر هذا بطريقة عمليَّة فعَّالة في سلوكنا وتصرُّفاتنا.

وعلى سبيل المثال، فقد حدث أنْ دعت امرأةٌ كاهنَ كنيستها ليصلِّي لها ويباركها وقت احتضارها، وتكلَّمت معه عن حيرتها بخصوص وصية تِرْكَتِهَا، فسألها الكاهن: "لِمَن تريدين أنْ تتركي ممتلكاتك؟" فأجابته: "أريد أنْ أتركها لأُسرتي"، فسألها: "أيَّةُ أُسرة تقصدين؟"، فأجابته: "وأنتَ ماذا تقصد بسؤالك؟ ليس لديَّ إلاَّ أُسرة واحدة، ابن أخ، وابنة أُخت"، فقال لها الكاهن: "أَلَم تنسِ أحدًا؟ عندما اعتمدتِ باسم المسيح، فالله صار أباكِ، والرَّب يسوع صار أخاكِ الأكبر، وبالتَّالي، فقد صار كلُّ مسيحي وكلُّ مسيحيَّة في العالَم أخاكِ وأُختكِ. أنتِ قد صرتِ عضوًا في عائلة الله، في جسد المسيح؛ ألا تظنِّي أنَّه مِن الواجب أنْ تذكري في وصيَّتك، هذه العائلة الأُخرى التي هي الكنيسة؟"

إذ أُخِذَت المرأة بهذا الكلام قالت: "لم أُفكِّر أبدًا في الموضوع بهذه الطَّريقة؟"
كم فرد منَّا يعمل مثلما فعلت تلكَ المرأة؟

مِن الأمور المحيِّرة التي يعملها الإنسان المسيحي هو أنْ يترك ميراثه: "بِتِرْكَة وثنيَّة"، بدون أنْ يعترف أنَّه ينتسب عمليًّا للمسيح، لنفس الجسد، الكنيسة، والآخَرين. كأعضاء في جسد المسيح، نحن لنا أكثر مِن عائلة واحدة محدودة بالنَسَب الجسدي.

كلُّ واحد يشعر بألم الآخَر

يقول القدِّيس بولس: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ» (١كو١٢: ٢٦). يُشير أفلاطون Plato إلى هذا بقوله، إنَّه إنْ تألَّم أصبع في يدنا، فنحن لا نقول: "أصبعي يُؤلمني"، بل نقول: "أنا أتألَّم". في كلِّ واحدٍ منَّا يوجد كيان يُعطي الوحدة لكلِّ أجزاء الجسم المختلفة والمتعدِّدَة، ولذلك، فإنَّ كلَّ التهاب، كلَّ ألم ضئيل في أي عضو مهما كان صغيرًا، فإنَّ المركز العصبي فينا يشعر به. كتب الأب ألكسندر إلشانينوف Fr. Alexander Elchaninov بخصوص ذلك فقال:

"قيل عن الكنيسة: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ» (١كو١٢: ٢٦)، فإذا لم نشعر بهذا الألم المشترك، فنحن لسنا في الكنيسة".

تتميَّز كنيسة المسيح بنفس النَّوع مِن الحساسيَّة، وكلِّ أذى أو ألم في أيِّ عضو منها، تشعر به بقيَّة الأعضاء. أليس هذا هو جوهر الأغابي agape، الحب؟

شعر الأب سمعان اللاهوتي الجديد Fr. Symeon the New Theologian بهذا الإحساس القوي حتى إنَّه كتب يقول:

"أعرف إنسانًا كان يريد بحرارة شديدة خلاص كُلِّ إخوته حتى إنَّه كان يتوسَّل إلى الله بدموع حارقة ومِن كلِّ قلبه، إمَّا أنْ يخلصوا معه، أو أن يدان هو معهم، لأنَّه كان مُرتبطًا في الرُّوح القُدُس برباط المحبَّة هذا، حتى إنَّه لم يشأ أنْ يدخل ملكوت السَّموات إنْ كان هذا سيفصله عنهم".

كم أحسَّ هذا الأب بكلمات بولس الرَّسول: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ».

لهذا السَّبب، فإنَّ كنيسة المسيح كانت دائمًا تضع في أولويَّات خدماتها أنْ تساعد المتألمين وأنْ تلطِّف الآلام والأوجاع. إنَّ أوَّل مأْوى للعميان أسَّسه راهب مسيحي يُدْعى ثالاسيوس Thalasius، وأوَّل مستوصف مجَّاني أسَّسه أبولونيوس Apollonius التَّاجر المسيحي، وأوَّل مُستشفى عُرِف أسَّسته فابيولا Fabiola المسيحيَّة.

أثناء اضطهاد داكيوس Decius المريع في روما، كان هناك جمعٌ كبير مِن الأرامل، واليتامى، والعميان، والمشلولين، وحشد مِن المرضى بأمراضٍ مُخْتلفة تقوم الكنيسة برعايتهم. وقد حدث أنْ هجم الوالي الوثني على الكنيسة وطلب مِن المسؤولين عن الجماعة أنْ يُسلِّموا الجواهر والممتلكات التي لديهم للسُّلطات. أشار الشَّماس لورينتيوس Laurentius إلى الجمع الموجود مِن الفقراء والمرضى والمقعدين والذين ليس لهم عائل وقال: "هؤلاء هم جواهر الكنيسة وثروتها".

الكُلُّ لأجل خدمة الواحد

إنْ حدثت إصابة في يدك، فإنَّ ملايين مِن كرات الدَّم البيضاء تندفع مِن خلال تيَّار الدَّم نحو الجرح المفتوح ويضحُّون بحياتهم وهم يحاربون الميكروبات المهاجمة. ولو حدث أنْ تأذَّى أصغر إصبع في القدم، فإنَّ العين تنظر إليه للحال، وتقوم باقي الأصابع بمَسك هذا الإصبع، والوجه يتجهَّم، وينحني كلُّ الجسم نحوه، ويهتم الكلُّ ويَنشغل لأجل هذا العضو

الصَّغير؛ وعندما يتمُّ شفاؤه، فإنَّ كلَّ أعضاء الجسم الأُخرى تفرح. إذا ما أُصيب عضوٌ صغيرٌ في الجسد، فإنَّ كلَّ الأجزاء في الجسم تندفع للمساعدة، لأنَّ الجسد واحد. وإنْ حدث أنْ أصيبت العين بالعَمَى، فإنَّ أعضاء الجسم الأُخرى تتعامل لتعوِّض فقدان البصر.

كَمْ هي صورة جميلة تبيِّن لنا كيف أنَّ الله يريد منَّا أنْ نشعر بآلام الآخَرين، وأنْ نهتم حتَّى بأصغر وأقلِّ عضوٍ غير ظاهر في جسد المسيح: "الإخوة الأصاغر":«إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ». إنْ كنَّا لا نشارك في آلام أعضاء الجسم الصَّغيرة تلك التي تعاني وتتألَّم، التي هي: "الأصغر في الإخوة"، فنحن حقًّا لا نكون في الجسد، وهذه علامة على أنَّنا قد فصلنا أنفسنا عن الجسد.

إذا لُمِس عصب صغير، فهو يسجِّل ألمًا في المخ؛ وحيث أنَّ الرَّب يسوع هو رأس الجسد، أَمَا سيشعر بألم كلِّ عضو في جسده؟ ربَّما يكون هذا هو السَّبب في قوله: «كنتُ جوعانًا فأطعمتموني، كنتُ مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إليَّ» (مت٢٥: ٣٥و٣٦).

الشُّعور بألم الفقير

نحن مدعوُّون لنرى المسيح في كلِّ فقير، بل أيضًا لنشعُر بآلام جوع الفقير. يكتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم بهذا الخصوص فيقول:

[أتُريد أنْ تُكرم جسد المسيح؟ فلا تحتقره وتزدري به في عريه، ولا تكرمه هنا في الكنيسة في الثياب الحريريَّة في الخدمة، بينما تهمله في الخارج وهو عريان وبردان... ما هو النَّافع أنْ تملأ مائدة المسيح باستخدام أصنافٍ مِن كؤوسٍ ذهبيَّة بينما هو نفسه، يموت مِن الجوع؟ أوَّلًا، أَطعمه عندما يكون جائعًا، وبعد ذلك استخدم ما تريده لتزيين المائدة... افعل هذا أيضًا للمسيح عندما يأتي كغريب في الطَّريق يبحث عن مأْوى. أنتَ لا تَقْبل أنْ تأخذه كضيف عندك، في الوقت الذي أنتَ تُزيِّن أرضيَّة بيتك والحوائط وتيجان الأعمدة... مرَّة أُخرى أقول: أنا لا أمنعك مِن أنْ تقوم بهذه الزِّينة، ولكنَّني أحثُّك أنْ تقوم بعمل الأشياء الأُخرى أيضًا، وبصراحة أنْ تُعطيها الأولويَّة. لا تزيِّن الكنيسة وتتجاهل جيرانك المتألِّمين، لأنَّهم هياكل أثمن مِن كلِّ الهياكل].

(عظة ٨٨: ٥٠ على إنجيل متى)

غَيْر مميِّزين الجسد

نقْرأ في (١كو١١: ٢٩): «لأنَّ الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غيْر مميِّز جسد الرَّب». هل بحثتَ ودقَّقْتَ لتنظر معنى: «غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ»؟ لنعرف هذا، علينا أنْ نرجع إلى كنيسة كورنثوس في الوقت الذي كتب فيه بولس هذه العبارة. كان المعتاد في ذلك الزَّمان أنْ تقام وليمة محبَّة قبْل ممارسة عشاء الرَّب. كان مِن المفترض أنَّ كلَّ مؤمن يضع الطَّعام الذي يُحضره معه على مائدة مُشتركة يتشارك فيها الجميع بالتَّساوي، وكانت هذه المائدة مِثل ما نسمِّيه: "على ما قُسِم pot-luck"، أي على غير تجهيز خاص. ولكن ما كان يحدث في كورنثوس أنْ كان الأغنياء وأصدقاءهم يجلسون معًا ويتناولون طعامهم الفاخر الذي أحضروه، بينما كان الفقراء الذين في وسطهم يذهبون بلا طعام. كانوا يجلسون جائعين وهم يتطلَّعون إلى الأغنياء وهم يأْكلون، فكانوا لا يتشاركون في المائدة. الأكل والشُّرب بهذه الطريقة الجائرة نتج عنه ما قيل: «غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ»، وهذا لا يُشير فقط إلى جسد الرَّب الذي كان يُكْسَر لأجلنا، ولكن أيضًا إلى جسده: "الكنيسة": «الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ One Bread (١كو١٠: ١٦، ١٧)». نحن نأكل ونشرب بدون استحقاق عندما نفشل في أنْ نميِّز، وأنْ نتحقَّق مِن أنَّ الفقير، والضَّعيف، والجائع، والمتألِّم الذين ينتسبون للمسيح، ينتسبون أيضًا إلينا، لأنَّهم أعضاء معنا في جسده المقدَّس، ممَّا يجعلنا مُلتزمين أنْ نشاركهم عطايانا. من أهم ما يجعلنا غير مستحقِّين أنْ نقترب مِن كأْس الرَّب هو رفضنا أنْ نميِّز الجسد، فلا نشعر بجوع وألَم أعضاء الجسد الأُخرى، ولا نتجاوب بالمحبَّة. **(يتبع)**

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني